(٢٤) وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.،قال الشيخ –رحمه الله– وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى: أيضاً سبق الإشارة إلى هذا المعنى وذكر عقيدة ختم النبوة، ولا أعلم ينازع فيها في هذه الأزمنة من الطوائف إلا طائفة القاديانية: وهي طائفة تُنسب إلى ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ولد في نحو سنة ألف ومائتين وخمسين للهجرة، وادعى سنة ألف وثلاثمائة، ادعى بأنه المهدي، ثم ادعى بأنه المسيح، ثم ادعى بأنه نبي يوحى إليه، ويوجد كما بينا سابقاً أفراد ادعوا النبوة وهؤلاء أيضاً لازم قولهم إنكار ختم النبوة.

ويقطع مقالتهم جميعاً قول الله تعالى: **{وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠]** ، فمن ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر، ومن صدقه في دعواه فهو كافر، لمناقضته صريح القرآن والسنة، فقد قال النبي ﷺ: (ولا نبي بعدي). ولهذا وصف الشيخ –رحمه الله– أن دعوى النبوة بعده غي وهوى: الغي: ضد الرشد، والهوى: ضد الهدى، الغي: ضد الرشد، والهوى: ضد الهدى، فالأمر راجع إلى الشهوة والشبهة، فالذي يحملهم على ذلك ضلالتان: إما شبهة وإما شهوة، وغالباً ما تجتمعان فيكون مدعي النبوة له شهوة في الترأس والتصدر ونيل الحظوة عند الناس والرياسة، وله في ذلك شبه يقذفها بين الناس، ولهذا لما أيس الصوفية أو غلاة الصوفية من الوصول إلى درجة النبوة؛ إذ أنهم يزعمون أنها تُنال بالرياضة والمجاهدة رفعوا بمنزلة الولاية، حتى إنهم كما يقول ابن عربي يجعل خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء. ويجعل النبي ﷺ في وصف الولاية أفضل منه في وصف النبوة، وفي وصف النبوة أفضل منه في وصف الرسالة، وكل هذا من مخاريقهم وكفرياتهم، حتى قال ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

كل هذه ضلالات –والعياذ بالله–، ثم إن الشيخ –رحمه الله– بيّن مسألة مهمة: وهي عموم رسالة النبي ﷺ، وذلك أحد خصائصه، **فقال: وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضيا:** نعم، من خصائص نبينا ﷺ التي اختص بها عن سائر الأنبياء أنه أُرسل إلى الناس كافة، قال الله عز وجل: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧]** ، وقال أيضاً: **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]** ، وقال: **{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]** ، **{لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]** ، وقال: **{ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨] ، **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ: ٢٨]** ، هذه نحو خمس أدلة من القرآن العظيم ناطقة صريحة في عموم رسالته ﷺ للناس، وبخصوص الجن دل على ذلك قول الجن حينما ذكر الله عز وجل في سورة الأحقاف حكايتهم فقال: **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٢٩ – ٣١]** ، إلى آخر موعظتهم لقومهم، وهذا يدل على أن الجن ليس فيهم أنبياء، ليس في الجن أنبياء، وإنما في الجن نذر: **{وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩]** ، فالجن لا يكون فيهم أنبياء، ولكن يكون فيهم نذر، ويتلقون النبوة عن أنبياء البشر، وكانوا قد وفدوا إلى النبي ﷺ أو نفر منهم يقال لهم: جن نصيبين. وهي منطقة في، من جهة العراق أو قريبة من تركيا، يبحثون حينما أحسوا بأنهم أظلهم زمان نبي، فعثروا بالنبي ﷺ في وادي نخلة إثر قفوله من الطائف لما ردته ثقيف رداً قبيحاً، وإذا به يقرأ القرآن: **{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن: ١٩]**: يعني أنهم تراكموا يستمعون القرآن، **{كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن: ١٩]** ، وهذا لا يثقله ﷺ، لأن للجن طبيعة خاصة تخالف طبيعة الإنس، كما أن النبي ﷺ لقيهم أيضاً في العهد المكي في موضع، ففي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: كنا مع النبي ﷺ خارج مكة، فذهب كأنما يريد أن يقضي حاجته، قال: فاستبطأناه، فقلنا: اغتيل، استطير. فطفقنا، أو فذهبنا نبحث عنه فإذا به يرجع إلينا وقال: (لن تراعوا، إنه قد أتاني داعي الجن)، ثم ذهب وأرانا موضع نيرانهم، وأخبرهم بأنه جعل لهم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يجدونه أوفر ما يكون لحماً. فهذه الأمور تدل على أن بعثة نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، فالنبي ﷺ بُعث إلى العرب وإلى العجم، وإلى الأحمر والأسود، وإلى الجن وإلى الإنس، ثم إن رسالته ﷺ ممتدة إلى قيام الساعة، كما تدل الآيات التي تلوناها آنفاً، وكما يدل عليه أيضاً قوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (إلا كان من أصحاب النار)، أو: (وإلا أدخله الله النار)، فدل ذلك على أن كل من على ظهر البسيطة بعد بعثة نبينا ﷺ مأمور باتباعه والإيمان به، لأنه وارث الأنبياء، مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، فيتعين على كل أحد أن يدين بدين الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ، وأما دعوى النصارى بأنه، وهذا ربما يقوله بعض النصارى، نصارى العرب الذين خضعوا لحكم الإسلام فيقولون هذا من باب –ربما– التقية والمراوغة، يقولون: إنه نبي للعرب خاصة. إنه نبي للعرب خاصة، ليخرجوا أنفسهم من العهدة، فيقال: هذا كلام متناقض، فإنكم إذا أقررتم بنبوته لزم أن

تصدقوا كل ما قال، وهو قد أخبر بأنه رسول إلى الناس كافة، فيلزمكم حينئذ أن تتبعوه، فليس في ذلك مخرج لكم في دعوى أنه يختص بالعرب دون غيرهم، فلا شك أن نبينا ﷺ قد أُرسل إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، أحمرهم وأصفرهم، فكلهم أمة دعوة، فمن كتب الله له السعادة وسبقت له من الله الحسنى صار من أمة الإجابة، لأن أمة محمد ﷺ نوعان: أمة دعوة، وأمة إجابة، فأمة الدعوة: هم الناس جميعاً بعد بعثته، وأمة الإجابة هم الذين قبلوا دعوته واغتبطوا بنعمة الله تعالى عليهم، وأما الجن فإن خير ما يصور هذا الخلق الكريم –أعني مؤمني الجن– سورة الجن، سورة الجن، فإن فيها من البيان والعبر ما يقضي على كل شائبة وتوهم، فينبغي لطالب العلم أن يقرأها بتمعن لكي يستبقي الحقائق التي دل عليها صريح، ناطق القرآن، ويستبعد الأوهام والموروثات والخزعبلات التي يتوارثها الناس جيلاً بعد جيل.

قال: وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى: كأنه جعل الورى قسيماً للجن، فيريد بالورى يعني من سوى الجن وهم الإنس.

بالحق والهدى: إي والله، قد قال الله عز وجل، قال: بالحق والهدى والنور والضيا، قال الله عز وجل: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة: ٣٣]** ، فالهدى: هو العلم النافع، **وَدِينِ الْحَقِّ**: هو العمل الصالح، ذلك أن رسالته ﷺ عقيدة وشريعة، فالعقيدة هي العلم النافع، والشريعة هي المتضمنة للعمل الصالح، وإنما لم تذكر الجن عيسى عليه السلام في قولهم: **{إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} [الأحقاف: ٣٠]** ، لأن عيسى عليه السلام كان متمماً لرسالة موسى عليه السلام، مقراً للتوراة عاملاً بها غير ناسخ لها، اللهم إلا بعض التخفيفات: **{وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران: ٥٠]** ، يعين بُعث بتخفيف بعض الأحكام، فلذلك نسبوا الأمر رأساً إلى موسى عليه السلام، ولا يزال النصارى إلى يومنا هذا يقرون بالعهد القديم، يؤمنون بموسى ويقرون بالعهد القديم.

ثم بعد ذلك رأينا أن نُلحق بهذا الموضع ما يتعلق بذكر آياته العظام ﷺ، من حيث الترتيب، فذكرنا ما ذكره الطحاوي في مواضع أخر:

وأولها: المعراج، قال: والمعراج حق: والمعراج: مفعال، وهو اسم آلة، اسم آلة، يعني اسم لما يُعرج به، اسم لما يُعرج به، هذا المعراج، كما يقال مثلاً: معراج منطاد مسبار، إلى غير ذلك، وما كان على هذا الوزن فهو اسم لما يُعرج به.

قال مفصلاً هذه الجملة: وقد أُسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلى، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [النجم: ١١] ،

فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى: نعم، لا ريب أن هذه الحادثة العظيمة التي وقعت للنبي ﷺ ربما قبل الهجرة بسنة أو بسنة وبضعة أشهر، وجاءت في وقت ادلهمت الخطوب وضاقت المضائق بنبينا ﷺ فيما كان يسمى بعام الحزن، حيث مات عمه أبو طالب وماتت زوجه خديجة، وكان له في عمه أبي طالب نوع حصانة وحماية وجوار، فكان يذب عنه، كان يذب عنه، وكان لزوجه خديجة أثر نفسي بالغ عليه، يأنس بها وتسليه عما يجد، فأكرمه الله تعالى بهذه الكرامة العظيمة، وهذه الحادثة أعني الإسراء والمعراج ثابتة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ: أما في كتاب الله فقد الله سبحانه وتعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الإسراء: ١]** ، وذكر في صدر النجم ما يدل على المعراج، يعني في صدر سورة الإسراء ما يدل على الإسراء، وفي سورة النجم ما يدل على المعراج، حيث قال الله عز وجل: **{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } [النجم: ٥، ٦]**: والحديث عن جبريل عليه السلام، **{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } [النجم: ٥، ٦]** يعني ذو هيئة حسنة، **{فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} [النجم: ٦ – ٨]**: أي جبريل، هذا هو الصواب في تفسير الآية، **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ٨ – ١٣]** ، إذن رأى جبريل في الأرض، قيل: في أجياد على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها، له ستمائة جناح، كل جناح قد سد الأفق، **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}**[1]، كان ذلك في المعراج، **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } [النجم: ١٣ – ١٨]** ، أمر عظيم مهول يحار العقل في التفكر فيه، وقد روى الإمام البخاري ومسلم وغيرهما قصة الإسراء والمعراج، ورويت من حديث شريك بن عبد الله القاضي –رحمه الله–، ولكن الإمام مسلم –رحمه الله– نبه على أن سياق شريك بن عبد الله قدم فيه وأخر وزاد ونقص، فاستدركت بعض الكلمات في حديث شريك بن عبد الله وضُعفت، لكن أصل الحديث وأصل الواقعة ثابت في الصحيح.

وملخص ذلك: أن النبي ﷺ حين كان نائماً إما في بيت أم هانئ، وإما في حجر الكعبة أتاه جبريل فأيقظه وكان معه دابة دون الخيل وفوق الحمار يقال لها: البراق، فركبها النبي ﷺ وكانت تضع خطوها عند منتهى بصرها، فبلغ النبي ﷺ وجبريل بيت المقدس، إيلياء، كما كانت تسمى في ذلك الوقت، بيت المقدس، فإذا بأنبياء الله قد جمعهم الله تعالى على هيئة وكيفية الله يعلمها، جمعهم لنبينا ﷺ في بيت المقدس، فربط النبي ﷺ البراق عند الحائط

[1] النجم: ١٣.

المعروف الآن باسم حائط البراق، وأم النبيين والمرسلين جميعاً في تلك الليلة، وفي هذا من الدلالة ما فيه، إذ أن فيه أنه إمام الأنبياء والمرسلين كما مر بنا، وسيد المرسلين، فهو إمامهم وخاتمهم وأفضلهم وأعظمهم صلى الله عليه وعليهم صلاة دائمين، فأمهم في تلك الصلاة، وفي هذا أيضاً تمكين لهم من إنفاذ أمر الله عز وجل: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]** ، فحصل منهم ذلك في تلك الليلة لنبينا ﷺ من الإيمان به والتصديق، ثم إنه أُسري به ﷺ، أسرى به جبريل، وهذا أمر مهول لا يكاد يتصوره العقل، فإن هذه السموات أطباق بين بعضها وبعض من المسافات التي بالعلم الحديث تُقاس بالسنوات الضوئية، تُقاس بالسنوات الضوئية لبُعد الشقة، مسافات هائلة، إلا أن الله سبحانه وتعالى مكنه من ذلك، فالذي مكن ملائكته وهم خلق من خلقه من الهبوط والعروج يمكن نبيه ﷺ من ذلك، والله على كل شيء قدير.

فلما أن أتى السماء الأولى وجد فيها أبانا آدم عليه السلام، وفي كل سماء جملة من الأنبياء، ولكن الذين اتفق أن النبي ﷺ رآهم هم المذكورين في الحديث المشهور، فإنه في السماء الأولى استفتح فقيل من؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قالوا: بالنبي الصالح وبالعبد الصالح، ثم وجد فيها آدم فحياه ورحب به، ثم بعد ذلك انتقل إلى السماء الثانية، فقيل له مثل ما قيل، وأجيب، وأجاب بمثل ما أجاب، فوجد فيها ابن الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام، ثم صعد إلى السماء الثالثة فوجد فيها يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الحسن، ثم إلى السماء الرابعة فوجد فيها إدريس عليه السلام، ثم إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون عليه السلام، ثم إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام، ويقال: إنه لما أدبر من عنده بكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: يبكيني أن غلاماً يأتي من بعدي يتبعه أكثر ممن يتبعني، ثم بعد ذلك صعد إلى السماء السابعة فإذا فيها أبوه إبراهيم عليه السلام، ثم بعد ذلك صعد إلى موضع فبلغا وجبريل سدرة المنتهى، وهي كما سمى الله تعالى سدرة فيها من أنواع البهاء والنور ما لا تصفه العبارة، ثم إن جبريل عليه السلام أحجم ووقف وقال: هذا حد لا أتجاوزه. وخطى وتقدم نبينا ﷺ، فأوحي الله تعالى إليه ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، وامتثل نبينا ﷺ أمر ربه ونزل مع جبريل، حتى مر بالسماء السادسة موسى ﷺ فأخبره فقال: قد عالجت بني إسرائيل قبلك، إن قومك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فنظر نبينا ﷺ إلى جبريل كأنما يستشيره، فأومأ إليه أن نعم، فصعد به جبريل مرة أخرى وسأل ربه التخفيف فحط عنه خمساً، ثم عاد مرة أخرى فقال له موسى مثل ما قال، فلم يزل يتردد بين ربه وبين موسى عليه السلام حتى كان آخر شيء أن جعلها خمس صلوات في اليوم والليلة، ومع ذلك فإن موسى عليه

السلام قال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال: قد استحييت من ربي. فنادى مناد من السماء: أني قد أمضيت، قد خففت، أني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي. فصارت هذه الصلوات الخمس خمس في الفعل وخمسين في الميزان، ولله الحمد والنعمة.

وعاد نبينا ﷺ إلى موضعه في مكة، وأصبح كئيباً حزيناً، وسر كآبته وحزنه أنه لا يدري كيف يبادئ قومه بهذا الخبر؟ فإنهم يكذبونه، وإلا فهو مغتبط مسرور بهذه الكرامة العظيمة التي أجراها الله تعالى له، فمر به أبو جهل ورأى ما فيه من الكآبة فقال: ما لك يا أبا القاسم؟ قال: إنه قد أسري بي الليلة حتى أتيت مسجد إيلياء. فأعجبه ذلك وقال: امكث حتى أدعوا إليك الناس لتخبرهم بذلك. ماذا أراد الخبيث؟ أراد فتنة الناس، لم يرد نشر الدعوة والسعي في البلاغ، فاجتمع الناس وقام النبي ﷺ يصف لهم مذهبه، فتعجبوا أشد العجب وقالوا: قد كنا في شك مما تقول...، فالآن أيقنا أنك كاذب، نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ونرجع شهراً وتزعم أنك أتيتها في ليلة، ثم إنهم قالوا: انعت لنا بيت المقدس. وهم يعلمون أن نبينا ﷺ لم يسبق له أن أتى بيت المقدس فيما مضى من الزمان، نعم، يعلمون أنه ذهب صغيراً مع عمه أبي طالب، لكن لما بلغ البلقاء وحصلت قصة بحيرى، بصرف النظر عن ثبوتها، وأخبر بحيرى أبا طالب بأن اليهود سيقتلونه خاف عليه أبو طالب ورجع به، يعني مقطوع أنه رجع به ولم يمكث خوفاً عليه، ثم بعد ذلك لما بلغ يعني بضعاً وعشرين سنة ذهب بتجارة خديجة رضي الله عنها ولكنه لم يدخل بيت المقدس، فحينئذ طلبت منه قريش أن ينعت لهم بيت المقدس، قال: (فأصابني من الكرب شيء عظيم، إذ لم أكن -يعني- قد دققت النظر)، لم أكن دققت النظر، فكان هذا السؤال محرجاً له ﷺ وكُرب كرباً عظيماً بسببه، قال: (فجلاه الله لي حتى كأني أنظر إليه، فجعلت أنعته لهم نعت الرائي، فطفقوا يتعجبون)، وأخبرهم أنه مر على إبل لهم في موضع كذا وكذا، وأنه جرى كذا وكذا، وأخبرهم عن أمور جرت ثم جاءهم يعني الخبر بصوابه، ومع ذلك فإن هذه الحادثة العظيمة أدت إلى افتتان بعض رقاق الدين، فارتدوا عن الإسلام بسببها، أما الراسخون الثابتون العارفون بالله ورسوله الصديقون، فهذا أبو بكر رضي الله عنه لما جرى من النبي ﷺ ما جرى انطلق أحدهم فأتى أبا بكر فقال: انظر ما يقول صاحبك؟ إنه يزعم كذا وكذا. فقال أبو بكر: إن كان قاله فقد صدق، فإني أصدقه في خبر السماء في المجلس الواحد. لم يقل أبو بكر: اصبروا حتى أذهب وأسأله بنفسي. قطع عليهم الطريق من البداية: إن كان قاله فقد صدق. هكذا يكون الصديق، لا يقايس الأمور بالعقل والمزاج والتكيف النفسي ونحو ذلك، بل بالإيمان والتصديق والإذعان، هذه درجة الصديقين.

هذه المسألة لا شك أنها من أعظم ما أكرم الله به نبيه ﷺ، وكانت تلك الليلة أشرف ليلة مرت به ﷺ، كيف لا وقد بلغ هذه المقامات السابقة العالية الهائلة؟ يعني عند سدرة المنتهى وما وراء ذلك، وحصل له من تكليم رب العالمين شرف عظيم، فلهذا كان هذا من أعظم مناقبه ودلائل نبوته ﷺ.

وقد اختلف: هل أسري به يقظة؟ أو مناماً؟ هل أُسري به يقظة؟ أو مناماً؟ ولكن ينبغي التنبه هاهنا أن القائلين بأنه بالمنام، لا يقصدون بالمنام أنها رؤيا، وإنما هم مقرون بأن روحه قد أُسري بها، فإنه يروى –يروى– عن ابن عباس ﷺ، عن معاوية وعائشة رضي الله عنهما أنهما قال: **إن جسده لم يُفتقد.** إن جسده لم يُفتقد. لكن ليس هذا منهما –وأرجو أن تتنبهوا لهذا المقام– ليس هذا منهما أنه رأى رؤيا منامية، **وإنما المراد أن روحه حقيقة فارقت بدنه على نحو غير مفارقة روح النائم للبدن مفارقة جزئية،** بل روحه، ذات روحه أُسري بها و عُرج حتى بلغت تلك المقامات الرفيعة، وفرق بين هذا وبين أن يقال: رأى رؤيا منامية. فإن الإنسان –كل إنسان– يرى في منامه أنه قد قطع الفيافي والقفار ووصل إلى أبعد الأماكن، وربما يتصور أشياء بعيدة الخيال، ولا يعد ذلك مستنكراً، **فلهذا هذا الأمر مستبعد، وبعض أهل العلم –ومنهم الشيخ ناصر الدين الألباني– يرى أن في ثبوت ذلك أن ذلك لا يثبت عن معاوية وعائشة رضي الله عنهما،** وبالتالي نستريح من الاعتذار بهذه الطريقة، فالذي عليه أهل السنة والجماعة هو ما ذكره الطحاوي أنه أُسري بشخصه: يعني بجسده وروحه، وهذا هو الحق، وإلا لو كانت المسألة رؤيا منامية ما احتفلت قريش هذا الاحتفاء ولا استنكرت هذا الاستنكار، لو قال لهم النبي ﷺ: رأيت في المنام كأني أتيت مسجد إيلياء. لقالوا: نحن نصل أبعد من ذلك، نحن نصل إلى القسطنطينية. في المنام ممكن يصل الإنسان إلى أبعد من ذلك، أليس كذلك؟ فإنما استعظموا ذلك لأنهم فهموا منه ﷺ أنه هو بذاته بجسده وروحه وصل إلى إيلياء، فلذلك استعظموا واستنكروا وارتد من ارتد، ولو كان الأمر مجرد رؤيا منامية لكان الأمر مستساغاً معروفاً، وكل منهم يحلم ويصل إلى بلاد فارس، ويصل إلى بلاد الروم، وأبعد وأقرب، ولا يكون في ذلك كبير شأن، ثم إن قول الله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى } [الإسراء: ١]** بمن؟ **{بِعَبْدِهِ}**: والعبد يقع على الروح والجسد، ليس على الجسد دون الروح، ولا الروح دون الجسد، فقوله: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ } [الإسراء: ١]** يتناول عبده المكون من الروح والجسد، ليس فقط الروح فقط، **فالذي قرره الشيخ –رحمه الله– هاهنا هو الحق الصواب.**

قال: وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء: إذن بشخصه يقظة، وهذا هو اسم الآية في هذه القضية.

ثم إلى حيث شاء من العلى: أمور لا نستطيع أن نتصورها ولا نكيفها.

وأكرمه الله بما شاء: وأي كرامة أن يبلغ تلك المراقي العالية ويكلمه رب العالمين.

وأوحى إليه ما أوحى: كما جاء ذلك في سورة النجم: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١]**.

أما مسألة الرؤية: وهي هل رأى النبي ﷺ ربه؟ فمن المعلوم أن لأهل السنة في هذه المسألة قولان: فمذهب عائشة رضي الله عنها وعامة الصحابة أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه، لم ير ربه بعيني رأسه، حتى قالت عائشة لما سألها مسروق: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت رضي الله عنها: لقد قلت قولاً قف له شعر رأسي، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. فقد أعظم على الله الفرية.

وذهب ابن عباس ﷺ إلى أنه رآه بعيني، بفؤاده، لا بعيني رأسه، وإنما بفؤاده كقول الله تعالى: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١]**. فهذه من المسائل القلائل التي اختلف فيها أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد.

والراجح: أن النبي ﷺ لم ير ربه عياناً، وقد قال ﷺ: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)، الحديث الصحيح لما ذكر النبي الدجال قال: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)، وبهذا يتبين بطلان مزاعم من زعم من الصوفية وأشكالهم أنه رأى الله أو كذا، وبطلان الأحاديث الموضوعة التي فيها أن النبي ﷺ رأى ربه في بعض سكك المدينة، أو أن الله تعالى ينزل على ظهر جمل أورق يوم عرفة، يصافح الركبان، إلى آخره من الترهات، هذه الموضوعات، هذه الموضوعات المكذوبة على نبينا ﷺ ولم يزل أئمة الدين ينبهون على بطلانها وينزهون مذهب أهل السنة منها.

إذن هذا هو الإسراء والمعراج الذي هو من أشرف خصائص نبينا ﷺ.